

القسم السابع :

## فرنسا ومستعمراتها

الاعتداء على الجزائر

للأستاذ أحمد رمزي بك

« يا ويلاه ! إن العائب والنكبات وانتعان الدهر ليست  
وحدها المائق التي يعترضنا في الحياة بل إن أعمالنا وجهودنا  
نفسها كثيراً ما تكون حرباً علينا ، « فارست »

ليذكر العرب جميعاً والعالم الإسلامي وسائر أم الأرض أن  
فرنسا اعتدت بلامبرر ، بل بسبق إصرار وترصص على حرية الأمة  
الجزائرية ، وكان ذلك بغير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة  
السيادة ، وإنما جمت وحشدت الجنود وأزالتها في يوم ١٩ يونية  
سنة ١٨٣٠ عند الصباح في مرسى سيدي فرج ، حيث انسحبت

فإذا كانت المعرفة العلمية قاصرة عن الإحاطة بشير المحدود على  
زعمه فيجب أن يكون هناك سبيل إلى الشهور به من غير المعرفة  
العلمية ، وهو سبيل الإيمان

والمسألة ليست من البساطة والسهولة بحيث يقول الأستاذ  
مظاهر إن علم التطور « أثبت أن الإنسان نتيجة مترتبة على  
النواميس القديمة الأزلية وأن حدوده ليس أكثر من توليف  
جديد حدث في جواهر المادة »

فكيف أثبت علم التطور أن الإنسان توليفة جديدة فقط  
حدثت في عالم المادة ؟

هل أثبت علم التطور حتى الآن علة الفرق بين أسفر الخلابيا  
الحية وبين القرة المادة ؟

وإذا كان علم التطور لم يثبت ذلك فكيف يجزم بالرأى في  
حقيقة الإنسان كله وهو أعلى ما شهدناه من ظواهر الحياة ؟

وإذا كان علم التطور قد أثبت ذلك فلماذا لا يخرج لنا خلية  
حية تشطر وتلتئم وتتوزع وتتجمع وتدخل في الرحم بدلا من

قوات والى الجزائر من البرج القائم حقناً لدماء وإثباتاً للتمدى  
أمام طوفان الفرق التي جاءت من فرنسا بمدافعها وعتاها الحربي .  
هذا اليوم يجب أن يبقى خالماً في ذكريات كل فرد منا ،  
مهما كانت ثقافته ومهما كانت آماله ، ولأهل الجزائر أن يرفعوا  
أيديهم بالاحتجاج على هذا الدوان ، وأن تنصت السموات الملا  
إليهم ، وتستمع الأرض ومن عليها لشكواهم وآلامهم  
وليتخذ أبناء العروبة هذا يوم حداد لهم يقفون دقائق معدودة  
تحية للمجاهدين والمقاتلين الذين جادوا بأرواحهم دفاعاً عن حريات  
الأمة الجزائرية في كفاحها الطويل وجهادها ، وليبقى هذا اليوم  
الأسود قائماً بيننا حتى يصفح الله عن شعبه وأرضه ويرد إليه حقه ،  
وإلى أن تعود الحياة والنور إلى الشعب الجزائري على الترى الذي  
حل أعباده والذي هو له وحده .

كان هذا الاحتلال نكبة كبرى على العروبة والإسلام ،  
لا للحوادث التي تخض عنها من ضياع استقلال تونس ومراكش ،  
ولا للحوادث الكفاح والقتال والتصادم التي دامت سنوات عديدة ،  
ولا لما أثاره من المارك والمقاتل والأيام المشهورة ، وإنما كان

خلية الإنسان أو خلية الحيوان فينشأ منها مولود جديد على  
مثال أمه وأبيه ؟

إن أجهل مهجى لهو أسدق شعوراً بالعالم من الفيلسوف  
المصرى الذي يمحصر مسألة الحياة هذا الحصر الميب . لأنه على  
الأقل يدرك للكون عظمة ورهبة تخفيان على الفيلسوف الذي  
يظن أن الآزال والآباد كانت في انتظاره حتى يظهر في سنة ١٨٠  
أو ١٩٠٠ أو ٢٠٠٠ فيضع الكون كله في تلك العلية الصغيرة  
وينقله هناك بالفتاح الأخير

على أننا ندع الخوض في هذا النهار فقد عرفنا كيف كان  
وقوف الأستاذ مظهر على الشاطئ بين الماء والرمال ، ورجع إلى  
المسطحات والنقود فلا يزيد على ما تقدم إلا أن ترجو الأستاذ  
ومن يتقدون على غراره أن يتقدوا بمد آناة طويلة . فقد تبين مما  
تقدم أننا لم نفتنا شيء مما يقع في خواطرهم ، ولكنهم هم قد  
يقوتهم شيء كثير مما توخينا ...

عباسي محمود العقار

عنة إزاء ما تبينه العالم من صمت المسلمين وجودهم وتفرق كلمتهم . لقد كشفتنا هذا المدوان الفرنسي أمام الدنيا وشعوبها . كنا قوة نحشاها أحداث الزمن ، فإذا نحن لا شيء . كان العالم يحسب ألف حساب للروح التي تفيض حماسة وقوة ورفعة ، تلك الروح التي أفرغتها تماثيل الإسلام على الأفراد والجماعات والشعوب ، فإذا هذه الروح لا وجود لها ، إنها قد ماتت ولم يعد لها بقاء ولم تقم لها قاعة ، ولهذا حمل أهل الجزائر عبء القتال وحدهم ، وكان عبثاً ثقيلاً عليهم . حقا إنهم ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، ولكن للطاقة البشرية حداً ، إنهم دافعوا دفاع المستميت حتى ألقوا في النهاية أسلحتهم .

هذه ناحية جديرة بالبحث والتحقيق ، نقول ماذا دهم العالم الإسلامي وأهله ؟ ماذا أصاب هذه الشعوب التي عهدناها في التاريخ زاحفة على الأخطار تتلقاها بصدور ملاءها الإيمان ، لا تلين يوم ترجف الراجفة ولا تخضع ولا تستأمن ، وإنما تقوم للأحداث وتقدم . أين ذهبت تلك الحيوية التي كانت تتبع الرادفة بالرادفة ، وتهز بمزائم أهلها الدنيا ، وتواجه بصدور أهلها طوفان الحوادث فتملو عليه والنصر من كل جانب يواتيها ؟

ولقد افتتحت هذا المقال بجملة من فلوست قالها جوتة الشاعر الألماني ، وهي تلخص حال المسلمين في افتتاح القرن الماضي ، إذ كانت قد خفت منذ سنوات وقرون أصوات المارك الزاحفة ، وانهدت صروح المهالك القوية ، وتفككت عمى الدنيا الإسلامية حينما أطلت طلائع القرن التاسع عشر علينا ، فأصبحت المدن التي كانت عاصمة أقطافاً ، وهبط عدد المسلمين في مصر وفرنسا وسوريا والمغرب ، وضعف شأن المسلمين في كل جانب ، ومنذ ابتداء القرن الثامن عشر لم يبق لهم إلا دولة آل عثمان التي وصلت جحافلها إلى فيينا مرتين ، ثم إذا هي تواجه الهجمات المتتالية في جبهة البلقان والمجر ، وتدافع ببطولة واستماتة ؛ فمن كان يوسمه أن يمتشق حجب التيب قبل وقوع هذا الحدث الأعظم بثلاثة قرون ، ويحاضر المسلمين بأن مصائب القرن التاسع عشر وأرزاءه كانت نتيجة للأخطاء التي ارتكبتها أسلافهم بمحروبهم وسياستهم وتفرق كلمتهم؟ لم يبق من شك في أن الحروب التي شنّها سليم الأول على مصر وإيران أضعفت الكيان الإسلامي كقوة فعالة ، ولا سيما إذا حللنا على ضوء المنطق الأسباب التي دفنته إليها ، فقد كانت

مشاركه مع الدولتين من الأمور التي كان يوسمه حسمها بدون أن يتورط في مشارك مع دول إسلامية هي بطبيعتها حليفة له . فكان من أثر حروبه أن زالت من الوجود دولة مصر التي كسبت الحروب الصليبية في مواجهة أوروبا ، وناهيك بذلك مفخرة لها . إن الضربة التي وجهت إلى مصر في سنة ٩٢٢ هـ ، كانت ضربة ضد العروبة والإسلام ، إذ كان من أثرها أن انهار ركن من دعائم دنيا المسلمين كان له المقام الأول في الدفاع عن أراضيهم وصد أعدائهم ، وسرعان ما ظهرت للعيان فداحة هذا الرزء حينما لم يمض نصف قرن حتى أعقب ذلك هبوط سريع في عدد السكان ، ونقص في العمران الذي كان قائماً بأراضي مصر والشام ، بل إن أثر الفتح العثماني كان شديداً حتى على الحركة المدنية والأدبية التي كانت سائدة بمدارس القاهرة ودمشق ، فلم نعد نسمع بمصر عن رجال من أمثال ابن خلدون والسيوطي والقرنبي وغيرهم من أئمة الدين والفقه والشريعة ، ثم انظر إلى أثر هذا المدوان ضد بلاد الإسلام في العقيدة الأوربية نفسها ، فهذه جمهورية البندقية استمرت في علاقات حسنة مع مملكة مصر طول القرون الوسطى . وإنك إذا ذهبت إلى المدينة وزرت قصر اللوجات ، تجد في إحدى قاعات العرض رسماً كبيراً يمثل سفراء إيران بين يدي عاهل البندقية ، إن هذه الصورة توحى بأشياء كثيرة ، فإن هذه الجمهورية بمد زوال مصر أخذت تبحث عن حلفاء لها من بين المسلمين .

والمعروف أن دوج البندقية كان عدواً للأتراك العثمانيين ، فهو يضع في مواجهة العالم اعترازه بتحالفه مع أعداء الدولة العثمانية من المسلمين ، وليس أبلغ للدلالة على تفرق كلمة المسلمين وتشاحنهم بعد حروب سليم من هذه الصورة القائمة حتى اليوم ، درساً وعبرة لمن يريد أن يعتبر .

وما يقال عن إيران ينصب على سلطنة مرا كس ، فهي قد عاشت أكثر من ثلاثة قرون في شبه عزلة تامة نتيجة للسياسة العامة التي وضعها سليم بضرورة فرض سيادة الخاقان الأعظم على بلاد المسلمين وممالكهم ، وهي سياسة لم تكن تسمح بإيجاد علاقات واضحة صريحة مع دولة مرا كس المستقلة ، ولم يكن من نتيجتها سوى توالي المحن والشكبات ، وتخصير الظروف وتوطئة الأحوال الملائمة لذلك الهجوم الفرنسي الذي تمثل في الامتداء على القطر الجزائري الشهيد

ولذلك لم تكسب الدولة العثمانية كثيراً في سياستها الإسلامية وجاء اتساع رقعة أراضيها فلم يمكنها من أن تصير دولة متأسكة قوية ومع خدماتها الجلي للإسلام جاء وقت كانت هي وحدها الدولة الإسلامية التي تتلقى الصدمات التي يوجهها أعداء الإسلام وخصومه إلى أعمه . وفي غمرات هذه الحالة جاءت حملة فرنسا على القطر الجزائري فإذا القوى مبصرة والأيدى منفلولة وأراضي المسلمين الشاسمة خالية من السكان .

نذكر هذا ونكرره إزاء الصيحات التي نسمعها نحو الوحدة وتأليف دولة موحدة إسلامية . ونحن نبادر إلى القول بأن المتناقضات لاتزال قائمة في داخلية العالم الإسلامي، هذه المتناقضات التي أورتها لنا الأطماع والحزازات والمقد النسبية ، فلنحذر من الوقوع في أخطاء السلف ، لأن هذه الأخطاء قد تكون أكثر وبالاً علينا من المصائب والتكبات التي يسببها الأعداء لنا .

وكلمة هادئة نسوقها هنا وهي : أننا من دعاة حرية الشعوب الإسلامية ولكن مع الإسراع في الأخذ بمدنية القرن العشرين ومع العمل على نقل الشعوب إلى وعي قوى صحيح مبني على العلم والنور وفهم الحقائق والتثبت منها ، بحيث لا يمكن التأثير عليها وقيادتها إلى أعمال تحمل من البدا جرائم الفشل وتنتهي إلى نكبات وعمن تضعف من شأن المسلمين ، فعلى ضوء تجارب الماضي ودروسه القاسية تبنى وتؤسس دعائم المستقبل ، فنحن طلاب حرية وتقرير مصير واستقلال كل شعب داخل نطاق حدوده القومية والتاريخية ، ولنا من أنصار الفكرة العثمانية التي رأينا أثرها بمد ثلاثة قرون ممثلة في ضياع شمال إفريقية ، وإنما ندعو إلى تأسيس علاقات جديدة بين الوحدات العربية والإسلامية تنمو على ضوء التجارب مع الزمن نحو التحالف والتكاتف والتعاون ، حتى يباد العمران وتنشأ المواصلات ونختفي الأتقاض والمخزبات وتطم أغلال الجهل التي أورتها لنا أجيال عشنا منها تحت كنف الاستثمار والاستعباد .

هذه ناحية هامة أعادتها إلينا ذكرى احتلال الجزائر وما لسناء من مخود أية فكرة عليا للدفاع عن هذا القطر الشهيد ! فلننظر من ناحية أخرى لهذا الحدث الكبير في تاريخنا لنعرف الدوافع الكامنة وأثرها .

لقد رأينا جيوش المسلمين تسير لتحرير العالم ، حتى إذا انتهت إلى أسبانيا عبرت جبال البرانس ودخلت فرنسا بقيادة مهدي الرحمن

قارن هذه السياسة البنية على الدعوة إلى السيطرة العامة والخضوع لسلطان الخلافة مع الرونة التي أظهرها ملوك مصر ابتداء من الملك الظاهر بيبرس مع خانات التار والقبيلة الذهبية وأصحاب عروش التفجاق في روسيا ، نجد أنهم نقلوا هذه البلاد من الوثنية إلى الإسلام .

أما السياسة العثمانية فلم تنجح مع أنها كانت قريبة منهم لأنها جاءت للرك هذه البقاع وفضلت فرض نوع من الوحدة والسيادة عليهم ، وكان هؤلاء في عنفوان قوتهم فرفضوا الإذعان لسلطين آل عثمان ، وكانت دولة الخلافة في إبان مجدها وفتوتها فتمسكت بسياستها ، وبمد قرنين ضعف الجانبان ، ودخل خانات القرم طوعاً تحت كنف السلطان الأعظم ، فإذا هو عاجز عن جابهم ، وإذا بالقوى تتجمع ضد الدولة العثمانية . وكان أول من جاهر بالمصيان جماعات القوزاق الذين خضعوا لها واستأسد حكام موسكو فأصبحوا بمد ضعفهم وخضوعهم للوك المسلمين أباطرة وقيصرية ، وكانت قلاع العثمانيين على نهر الدنيبر في شمال رومانيا وفي وسط بلاد المجر كافية لصد جموع أوروبا مجتمة ، ولكن ماذا تفعل الجحافل العثمانية وقد امتدت الجبهة شرقاً وظهر عدد جديد هو روسيا التي أخذت تكتسح الإمارات الإسلامية حتى وصلت إلى شواطئ البحر الأسود الذي عرفته القرون بحيرة إسلامية ؟

لقد ظهرت للعيان أخطاء قرنين من الزمن لأن حلفاء الدولة العثمانية الطبيعيين هم سكان نهر الفولجا المسلمين وأمهراء القرم وهم الذين كان بوسمهم دفع الشر إبان قوتهم ، وكان المنطق والمعدل والأخوة تملئ بتقوية هذه الإمارات وتشجيعها بدلاً من مناوأتها ، فإذا هي أول ضحايا الزحف السكوبي وإذا بالجبهة العثمانية تنهار بسرعة وإذا بمجهود السلطنة والخلافة ينصرف من يوم حصار فينا إلى عهد حملة نابليون ١٨١٢ في صد الهجمات المضادة التي شنتها أوروبا . فإذا وقتت في صدها ، عالجها الذئب الروسي الآسيوي مستفيداً بمن كانوا حلفاءها ، لقد كانت محنة كبرى ولكنها من صنع أيدينا قبل أن تكون من عمل أعدائنا . فالويل لنا إذا تكررت مرة أخرى .

فهل كان من حرج على سلاطين آل عثمان لو اتبعوا أساليب وسياسة سلاطين القاهرة في علاقتهم مع مسلمي الفولجا والقرم ؟ لقد أثبتت الأيام أن ملوك مصر كانوا أبعد نظراً وأكثر اتبهاً .

ابن عبد الله التافقي في سنة ٧٣٢ ميلادية .

وكانت انتصاراته سهلة على حكام البلاد فوصل زحفه إلى وادي نهر اللوار ، ولكن في وسط الوديان الشاسعة بين بلدتي تور وبواتيه ، حيث المروج الخضراء ، التقت جموع العرب لأول مرة مع جموع عنصر أوروبي مقاتل هم الجرمان وعلى رأسهم شارل مارتل ، ودرت رحى معركة قال عنها كتاب أوروبا « هي المعركة الفاصلة بين الإسلام وأوروبا المسيحية على زعامة التمدن » . ولم تكن هذه المعركة بين الإسلام والمسيحية لأن أغلب مقاتلة الجرمان كانوا وثنيين ، ولكن الدعاية والرغبة في التهبول والتفخيم أسبغت على هذه المعركة توباً فضفاضاً ، لأن نتيجتها كانت انحسار العرب من وسط فرنسا إلى جبال البرانس ، فقالوا هنا التقت أوروبا وآسيا ، وفي هذه المعركة انهزمت قوى الإسلام . ومن الغريب أن يذكر بعض المؤرخين أن بين من حارب في صفوف المسلمين أمراء مسيحيين .

لقد شاءت الروح الصليبية السائدة في أوروبا أن تجعل من معركة تور وبواتيه ، ابتداء الهجوم المضاد على المسلمين ، لاني فرنسا وحدها بل في أسبانيا ، واستمرت هذه الدعوة القائمة على الكراهية والإفناء سائدة لمدة ثمانية قرون وهي تلاحق العرب حتى صُفيت المشكلة الإسلامية في بحر من الدماء والذابح في أسبانيا وغادر آخر ملوك غرناطة ساحل الجزيرة الخضراء .

ولقد ظن المسلمون أو خيل إليهم أن نكباتهم قد انتهت وأن جحافلهم قد آن لها أن تستريح وكانوا في ذلك من الواهين . لأنه لم تمض ثلاثة قرون حتى لاحقتهم الحروب في عقرديارم ، وقذفت فرنسا التي حكمها العرب وفتحوا ديارها بحملة قسوامها أربعة وثلاثون ألفاً من خيرة جنودها وحملوها على أسطول عدته أربعمائة سفينة أنزلت مع الحملة مائة وعشرين مدفماً تجرها الخيل . ولم تكن هذه أولى الحملات بل تقدمتها محاولات أخرى لقيت فيها مدينة الجزائر الكثير من عيبتهم وهدموا أحياء منها ، وبذكر التاريخ مثل هذه الهجمات على مدن السواحل الإفريقية كلها حتى مدينة الإسكندرية وبيروت وسواحل الشام أصيبت في عهد الدول العثمانية وقبلها بشيء من هذا السدوان على أيدي قراصنة الأوربيين .

وبمع ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم تمكن أهل المدن الساحلية وهم أهل المتاعرة والرباط من رد هذه الحملات إلى البحر والمحافظة

على السواحل الإسلامية واسترجاع المناطق التي سيطر العدو أحياناً عليها ، ولعل هذه الانتصارات السهلة هي التي جعلت أمراء المالك بمصر يستصغرون شأن حملة نابليون ، وجمعت أهل الجزائر يستصغرون شأن الحملة الفرنسية عليهم ، وكانوا في هذا من المخطئين فدفعوا الثمن غالياً بهزيمتهم وموتهم وأضاعوا البلاد من أيديهم .

وهذه الحملة انتقلت حلقات الهجوم المضاد لمبارك تور وبواتيه إلى الشاطئ العربي وبدأت حرب الموت والفتاه تشنها قوة نمتقد أنها تستعيد مجد روما على الرمال التي حملت أعلام روما القاسية ، وتمتدحى في قتال المسلمين ذكريات الحروب الصليبية ومبارك لويس التاسع في إفريقيا ، وهكذا شاءت فرنسا أن نعيش نحن مشاهير العرب بأفريقيا الشمالية في غمرات الهجوم المضاد الذي بدأه الجرمانى شارل مارتل علينا .

ولم يكن هناك ما يبرر هذا العدوان فقد نقرأ الكثير مما ذكره المؤرخون عن حادث إهانة الوالى حين باشا للجنرال دو فال فنصل فرنسا حينما قدم عليه للتمنئة بعيد الفطر سنة ١٦٤٣ هجرية وما سبق هذا من النزاع على الديون التي ماطلت فرنسا في دفعها لحكومة الجزائر ، والدور الذي لعبه كل من يعقوب كوهين بلرى وميخائيل أبوزناك اليهوديين في هذه القضية ، وهل ترفع إلى مجلس الجزائر ، أو إلى محاكم باريس التجارية للفصل فيها ؟ ثم احتجاج القنصل ومناذرتة البلاد ومن معه من التجار الفرنسيين ، وما قيل من أن هذا القنصل تمتد لإيجاد هذا الحادث بتوجيه عبارة غير لائقة للوالى حينما طلب إليه إجابة صريحة من حكومته فرد عليه أنه ليس من عادة ملك فرنسا أن يكتب من هو دونه بشير واسطة فأثار بقوله غضب الوالى .

إذا ما الفائدة في تعرف أسباب العدوان بين القوى والضعيف والنية مبيتة والاستعداد قائم ، ولم يكن اختيار الجنرال ليرامها وهو عسكري إلا توطئة وتحضيراً للأعمال الحربية القادمة .

ووقعت الواقعة في التاسع عشر من يونيو سنة ١٨٣٠ إذ أقدمت فرنسا بشير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة السيادة أو إنذار للوالى فأزلت عما كرها في مرسى سيدى فرج ، وهي بقعة خالية من الناس ، لا تحرمها غير قوة صغيرة من الجنود في برج قائم وأت أن تنسحب بشير قتال حقناً للدماء أمام طواقم الفرق النازلة من الأسطول بمدافعها وعتادها الحربى .

فلنذكر جيداً هذا اليوم ولا تنسه ، لأنه يحمل ذكريات

حجارتها ، ونهدمت عدة منازل ومات خلق كثير تحت الأتقاض  
وبهذه النائية اهتزت أركان المدينة وقعدت روح المقاومة  
واستولى الرعب والقلق على السكان فقرر الوالي تسليم المدينة .

وفي صباح يوم ٦ يولية ١٨٣٠ الموافق ١٣ المحرم ١٢٤٦  
دخلت جيوش فرنسا من الباب الجديد وأزالت الأعلام العثمانية  
من القسبة والأبراج ورفعتم الرايات الفرنسية واحتلت الجنود  
القسبة والقلاع والشواطئ وزالت من الوجود حكومة الجزائر  
الإسلامية .

وتم المدوان على الأرض التي أمضت فرنسا السنين تحمل بوضع  
اليد عليها بعد أن قعدت أملاكها في الهند وأميركا وجزائر  
البحر ، ولم يرد في ذكر شروط الهدنة والتسليم نص على  
الاحتفاظ بحقوق الأهالي وتقرير مصيرهم سوى النص الاستعماري  
الذي وضه نابليون في مصر وهو : احترام الديانة المحمدية وهدم  
التعرض لنساء المسلمين .

وهو النص الذي ما انفك دعاة الاستعمار يرددونه في كتبهم  
وأبحاثهم وخطبهم دليلاً على روح التسامح ، ويقولون وماذا يريد  
المسلمون وقد تركنا لهم حرية التدين وحفظنا لهم أعراسهم ،  
كأن حياتهم وقف على هذا لا تنمدها أو كأنهم أهل آخرة لا تشغلهم  
أمور الدنيا فلا تهمهم العاجلة ما داموا قد ضمنوا الآجلة وأخذوا  
بأيديهم مفاتيح الجنان .

ويقول مؤرخو المسلمين : اهتزت لهذه النائية المشرق والمغرب  
وكانت من أعظم النوائب . والحقيقة أن العالم الإسلامي الذي عهدناه  
يهتز لما يحدث في كل ركن منه لم يتحرك لهذه الكارثة ولا لما  
تلاها من نكبات وإنما تحرك القطر الجزائري وحده أمام المدوان  
وقامت قبائله ورجاله يرددون عن حياضهم وانضموا تحت لواء  
الأمير عبد القادر ، يكتبون بدمائهم ملحمة من ملاحم الحروب  
القاسية ، في تاريخ الإسلام الذي واجه الحقائق وقال :

« لقد تبينت ما قدر على وهأنذا مستعد للإقدام » .

ولكن بعد مضي قرن من الزمن يقف أهل الجزائر مرة أخرى  
للامتحان أمام فرنسا ويرددون هذا القول لقد عرفوا وتبينوا  
ما كتبتهم لهم الأقدار فهل هم على عهد الإقدام فأعمون ؟  
هذا ما ستفسره الأيام .

وسنرى في القسم التالي ما كان من هذه الواقعة الخالصة

أحمد رمزي

المدوان الفرنسي على الأرض الأفريقية على بر الجزائر الشهيد .  
وبعد مائة عام ، أي في ١٩ يونية ١٩٣٠ احتفلت فرنسا بهذا اليوم  
فأثارت بمملها حمية شرذمة من أباة الجزائريين وأحرارهم وخرجوا  
من ديارهم بيجوبون المهالك ، حتى لا يروا بأعينهم في ديارهم وأوطانهم  
ذل يوم يحتفل فيه الناصب ويرفع أعلامه على أتقاض الوطن المريح  
والشعب الشهيد ، فلقبني جماعة منهم في مدينة استانبول ،  
وذكروا لي مشاهد عما يلفونه من عنف وما صارت إليه أوطانهم  
ومرابهم ، وهي البلاد المزينة التي حملت أعلام المرابطين والموحدين  
وقبائل المسلمين من العرب والبربر ، وكانت لهم السيادة والقيادة  
والحول والقوة أيام كانت تزج أمام أمجادهم وعزائمهم جحافل  
الفرنجية ونحشام الدنيا .

وجاء منهم فريق إلى مصر ، فأمضى أياماً من غير أن يسمع  
لم صوت أو أنين ، ولما جاء الفوج الثاني أرجعهم بوليس مصر  
وشرطة الوالي بحجة أن مصر لم تكن موقفة على جوازات  
سفرهم . وضحكت من الأيام التي جعلت بوليسنا حربياً على تنفيذ  
تعليمات حكومة الاستعمار الفرنسية متيقظاً ألا يدخل مصر العربية  
من هم من أقرب الشعوب إلينا والصقهم بنا ، ومن يحملون ناشيرة  
مصرية قانونية ، ولا أدري من الذي لفت الأنظار إليهم ، ومن  
حال بينهم وبين مصر ، ومن أعطى التعليمات بإعادتهم .

وارتجت مدن الجزائر في يونية ١٨٣٠ ، وقامت القاعة فيها ،  
والوالي يجمع جنده ويحشدهم ويرسل إلى البلاد والأقاليم يدعو  
للجهاد والدفاع ، ويطلب النجدة من وهران وقسنطينة ، وخرجت  
الجيوش لهاجة معسكر الفرنسيين ، فالتحموا المراكز الأمامية  
أمام تراجع الجنود الفرنسية ، حتى إذا صاروا تحت مرسي المدفعية  
حصنتهم بتيرانها حصداً ، فاختلت صفوفهم ، وأخلوا الأماكن  
التي احتلوها ، وتقدم الفرنسيون ، وكانت هذه أول ملحمة على  
أرض الجزائر في يوم ٢٥ يونية ١٨٣٠

وكانت قوات والي الجزائر محتشدة داخل حصون في ناحية  
أبي جارية ، فخرجت منها للقتال والتحمت مرة ثانية مع الفرنسيين  
فلم تصبر على التيران ، وارتدت وأحلت هذا المسكر فاحتله العدو  
ثم تقدموا منه واحتلوا بساتين المدينة وأطرافها وبدأوا حصارها .  
وبعد أيام أخذوا في إطلاق نيران المدفعية فأصابت قذائفها  
برج مولاي الحسن وكانت فيه مخازن البارود . فأصابها قنبلة  
سببت انفجاراً هائلاً ، فاندك البرج طلى من فيه ، وتطايرت